سريانيّ ملكيّ

وهو يوحنا موديانا مطران ماردين المنوفستيّ الرهاويّ

لحضرة القس اسحاق ارملة السرياني الكاثوليكي

كانت الفرق النصرانيَّة التي تقتسم بلاد الشرق منذ القرن الخامس ثلاثًا: الملكيَّة وهم اتبـاع المجمع الخلقيدوني المحافظون على قوانين الكنيسة الكاثوليكيَّة وعُرفوا بالملكيين في جهات الشـام ومصر وما بين النهرين لزعم خصومهم بأنَّهم اتبعُ للملوك منهم للمسيح. ثم النسـاطرة اشياع نسطور الذين جعلوا للمسيح اقنومين كما لهُ طبيعتان اقنوم الهي واقنوم انسـاني اتحدا اتحادًا ادبيًا مستقلًا فابطلوا بذلك كل سرّ الفـداء. ثمَّ اليعاقبة الذين تصدَّوا للنساطرة في اقوالهم وبالغوا في تقرير لاهوت المسيح الى ان قالوا انَّ في المسيح طبيعة واحدة الهيَّة كما هو اقنوم واحد

وهذه الفرق بقيت مدَّة طويلة في خصام ومعاداة تسعى الواحدة في تنكيس الاخرى فضلًا عن كونها تعدَّدت اقسامها فصار لكل فرقة شيعة متبـاينة وليس تاريخ كنائس الشرق مدَّة عشرة اجيال سوى خبر هذه المشاحنـات والانقسامات. على ان الكنيسة الكاثوليكيَّة كانت تسعى عند سنوح الفرصة ان ترد الضـالين وتنشر بينهم العقائد الراهنة التي اثبتهـا الاباء وقرَّرتها المجامع. وكان البعض من تبعة اليعاقبة او النساطرة يرتدُّون من وقت الى اخر الى مذهب الروم الملكيين إمَّا بعد اطلاعهم على صحة قولهم واما فرارًا من شرور حلَّت بهم عند اهـل شيعهم. ومن جملة هؤلاء احد اساقفة ماردين اليعاقبة اسمهُ يوحنا موديانا اي المعترف الذي يرد ذكرهُ في تواريخ القرن الثاني عشر فذكرهُ في تاريخهِ ميخائيل الكبير الذي كان وقتئذٍ بطريركًا على اليعاقبـة ونقل ايضًا اخباره ابن العبري في تاريخهِ الكنسي وغيرهُ من اهل ذلك العصر. فاحببنا ان نجمع هنا اقوالهم ونسرد حياة هذا الرجل باختصار فانَّ في اخباره ما يطلعنـا على بعض احوال تلك الكنائس المنشقة ويفيدنا علمًا عن اسقف تلك الشيعة اليعقوبيَّة ليتبع الكنيسة الكاثوليكيَّة التي كان يمثلها الملكيُّون في الشرق حتى بعد انفصال فوطيوس عنها اذ لم يتم ذلك الانشقاق الَّا على عهد ميخائيل كيرولاريوس

وُلد موديانا (المعترف) في اواسط القرن الثاني عشر وانقطع منذ حداثته الى جبال الرها المزدانة بالنساك والزهاد. وعكف على مطالعة مصنفات كتبة السريان الاقدمين. واحرز من العلوم والاداب نصيباً وافراً. وامتاز خاصّةً بالخبرة بالامور الدنيا وبلاغة النطق وفصاحة الكلام. وكان ممن يوثق به ويُرجع اليه في الدعاوي لدى ارباب الحكم

وكان في ذلك العصر البطريرك ميخائيل الكبير (١ مستلماً ازمّة رعاية الامة السريانيّة اليعقوبيّة. فتطاول على حقوقه تاودورس بن وهبون وكريم بن ماسح الاسقفان اليعقوبيّان. وحاولا اختلاس البطريركيّة فحصل بسبب هذه المزاحمة فتن وقلاقل في الشعب كانت نتيجتها انّ ابن وهبون فاز برغوبه وبعد ثلاث عشرة سنة لبطريركيّة ميخائيل ارتسم في ديار بكر بطريركاً دخيلاً بوساطة اربعة مطارنة. وذهب توًّا الى ماردين واستولى على الكرسي البطريركيّ. فبعث ميخائيل اذا ذاك قوماً الى ماردين فاتوهُ قسرًا بابن وهبون الى دير برصوم وحرمهُ جهرًا. فلم يرعو ابن وهبون بل ازداد حقدًا وكمدًا وانقلب راجعاً الى ماردين فالموصل وجدّد الشغب والقلق. ثم انطلق اخيرًا الى لارن كبير الارمن والى جاثليقهم فرحّبا به وامرا ان يُنادى به بطريركاً في بلادهما. وما لبث على تلك الحال حتى اختزمتهُ يد المنون في رومي قلعة سنة ١١٩٣ وكان متضلعاً باللغات السريانيّة واليونانيّة والعربيّة والارمنيّة وخلف مصنفات شتى تشهد بطول باعهِ وحذاقة عقلهِ

اما كريم بن ماسح فنزل الى تكريت محاولاً اختلاس كرسي المفريان فرُدّ الى الموصل بصفقة خاسر وقتلهُ اي حرمهُ المفريان غريغوريوس عام ١١٩٢

ولمّا راى سكان ماردين ما جرى لابن وهبون بعض الذوات منهم واستصحبوا رهباناً من دير الزعفران (٢ ومضوا الى دير برصوم متوسلين الى البطريرك ان يحضر

---

١) ارتقى ميخائيل الكبير الى البطريركيّة في ١٨ تشرين الاول عام ١١٦٢ وتوفي في ٧ تشرين الثاني عام ١٢٠٠

٢) شيد دير حنانيا المعروف بدير الزعفران سنة ٨١١ مسيحيّة جمّة حنانيا مطران ماردين وكفر توت الذي وقاه الى مطرانية ماردين عام ٧٩٣ فرياقس بطريرك اليعاقبة — (راجع تاريخ ميخائيل الكبير)

اليهم والّا فيقيم لهم راعياً قانونياً ينظر في امورهم . وانما طلبوا حضوره لاعتمادهم على ما كان قد صرّح به عام ١١٦٧ اذ جعل مقام الكرسي البطريركي رسمياً (١ بماردين بدلاً من آمد

فرحب بهم ميخائيل ولبى نداءهم وانجز رجاءهم تملصاً من ثقل تلك الرعيّة وتعبها . فاوعز اليهم ان يصطفوا من يشاؤون . فوقع اختيارهم على موديانا الرهاوي صاحب الترجمة لانهُ كان مشهوراً بالغيرة ومشهوداً لهُ بالفضل وسمة المعارف . فارسل البطريرك في طلبهِ ورقاه مطراناً على ماردين ردعاه يوحنا موديانا (٢ وتلده رعايتها بدلاً منهُ . ثمّ زود الرهبان والذوات بالصلوات وشيعهم بالانس والترحاب . وما كاد يظفر بهِ الماردينيون حتى انتشعت عنهم سحابة الغموم وانتعشت افئدتهم لما توسموا فيه من النباهة والذكاء فاظهروا لهُ عواطف الولاء والوداد واحتفوا بهِ احتفاء عظيماً . اما ابن وهبون وابن ماسح ففي تلك الليلة قرّا هاربين الى الموصل

فاخذ المطران الجديد اذ ذاك يدبر ابرشيتهِ صارفاً الهمة والنشاط في ما يعود الى نجاحهم ونال الحظوى لدى الحكام خاصةً وغدا محبوباً وموقراً عند القريب والغريب

بيد ان عدوّ الخير اخذ يثير في الاهلين نار الشحناء والبغض عليهِ فقاوموه وناصبوه لاسيما الرهبان منهم . ومما زاد الشرور والاحن انهم نسبوا اليهِ اموراً مستقبحة . فامتعض موديانا ايّ امتعاض وتجرّع من جرّاء ذلك غصص الالام والحسرات وحاول استمالتهم اليه باللطف واللين فذهبت مساعيهِ ادراج الرياح ثم التمس الذرائع الفعالة ليظهر عليهم ويستمرّ لديهم فلم يتمكن . فكتب آنئذ يخبر البطريرك ويستصرهُ على اعدائهِ المفسدين غيظاً وسخطاً عليهِ . فجعل ميخائيل يدافع عن المطران لكنّ الشرّ لم يزل

---

١) قلنا رسمياً لان دير الزعفران كان مركز ديونوسيوس بطريرك السابقة منذ عام ١٠٣٤ حتى سنة ١٠٤٤ ولا يخفى ان البطاركة الذين خلفوا ميخائيل لم يمروا على تلك السنة (راجع تاريخ ابن العبري الكنسي)

٢) هو غير يوحنا موديانا الذي جرت حفلة رسامتهِ بطريركاً يعقوبياً في ١٢ شباط ١١٢٩ في كنيسة الافرنج (الكاثليك) بالرها بحضور الامير جوسلين وتوفي البطريرك المذكور عام ١١٣٧ وخلفهُ اثناسيوس بن قطره سالف ميخائيل الكبير (راجع ابن العبري)

يتفاقم حتى اضطرَّ موديانا الى مزايلة رعيته متوخياً اطفاء شرارة الفتن فرجع الى خلوته واقام في بيت ابويه بالرها. فتضعضعت من ثمَّ حال الابرشيَّة وتشعَّبت الاهالي واستفحل الفساد. فراى حينئذٍ البطريرك ان يقسم المرعيث ووكل الرعاية الى ابرهيم اسقف الخابور ريثما تهدأ الامور وتنجلي الحقائق

اما الماردينيون فلم يهدأ اضطرابهم بل طفقوا يتذمرون على البطريرك ويلومونهُ في تدبيره لهم. فذهب ثانية اليه نخبة منهم قائلين: «اننا نستثقل الذهاب والاياب يا ابانا. وانك لتعلم اهميَّة رعيَّة ماردين من حيث ازدياد عدد الطائفة والرهبان والاديرة والارزاق ... فاليك نتوسل ان ترثي لحالنا وتجبر انكسارنا. وليس لنا غنى عنك. على اننا كلما احتجنا الى رسامة او قضاء دعوى تعيَّنا مشقة السفر فعدنا اليك. فحتى متى نابث هكذا». فتاوَّه البطريرك وهتف قائلاً: «لقد ضاق ذرعي وكلَّت عزائمي مما دهمني من النوائب والاهوال. وكنت اودّ لو امكن من المكث لديكم لعلمي الوكيد بان ماردين محتاجة الى راعٍ لا يغيب عنها قطّ. بيد ان اثقال الشيخوخة وامراضها قد انهكت قواي وحصلتُ في خطر المنون. وليس عندي اعزّ من المفريان غريغوريوس ابن اخي فاليه اوكل اموركم ماديًا وادبيًا. وبه أنيط تدبيركم روحيًا وزمنيًا». ثم انهُ رقم رسالة عامَّة بهذا الصدد بخطّ يده في تشرين الاول عام ١١٩٧ ووقَّع عليها سبعة اساقفة. وفيها قرّر كذلك ان تكون ماردين ودير الزعفران ودير مار ديمط ودنيسر وتل قبب وما يجاورها تحت سلطة المفريان ابان حياته فقط. وبعد وفاته (اي المفريان) تعود تحت رئاسة البطريرك

وفي تلك الغضون كان يوحنا موديانا مقيماً في الرها كما قدَّمنا مثابراً على مطالعة الكتب. فجرت منازعة بينه وبين اثناسيوس دنحا اسقف الرها اليعقوبي (١ فوشى به لدى البطريرك الذي بعث اليه كتاباً يأمرهُ بمزايلة وطنه والنزوح عن جبالها

فغادر موديانا آنئذٍ الرها وتوجه الى ملطية فصادفه اليونانيون وهم الملكيون القائلون بالطبيعتين والمشيئتين فارسلوه الى القسطنطينيَّة فاعتنق مذهبهم واصبح خلقيدونيًا. ولمَّا توسم بطريرك الروم نجابته وذكاءه قلدهُ رعاية ابرشيَّة ميافارقين

---

١) سقف على الرها عام ١١٦٩

وميافارقين هذه مدينة قديمة كان اليونان يدعونها مدينة الشهداء (Martyropolis) وعُرفت عند السريان بميفرقط وكانت اذ ذاك مدينة عامرة بالسكان منيعة ذات ابراج وقلعة . وكان للبعاقبة فيها كرسيّ اسقفي يجلس عليه حينئذٍ اغناطيوس ابو غالب . اما الخلقيدونيون فيها فكانوا قليلين . فلما قدم اليها يوحنا موديانا اخذ يهتمّ بشؤون الملكيين بنشاط حتى زاد بهمّته عدد اتباعه . ولا شكّ انهُ ممن انهضوا انصار الجمع الخلقيدوني بعد خمولهم ولعلّ بقايا الروم في بلاد ديار بكر الى يومنا كان سببها الاسقف موديانا المذكور وبعض الذين اقتدوا بمثاله . على ان المؤرخين اليعاقبة لم يرووا شيئاً من اخباره في ايام اسقفيّته ولعلهم سكتوا عنها ليغضّوا منهُ كما ان ابن العبري نسب الى خداع اليونان رجوعهُ الى تعاليم الجمع الخلقيدوني (١ لكنّ الموت عاجلهُ فتوفي في مفتتح القرن الثالث عشر ودُفن في كنيسة ميافارقين الملكيّة

نظر

ممّا سبقَ يلوح للقرّاء (اولًا) ما كانت عليه الكنيسة اليعقوبيّة في ذلك العصر وهي في زهرها ومجدها الّا انّ الخاصمات والانشقاقات كانت قد استولت عليها واعدّت اخلالها وهبوطها الذي نشاهدهُ في ايّامنا وليس لها اساس ثابت يجمع كلمتها ويصونها من الفتن والشغب

(ثانياً) ونرجح كون موديانا لم ينضم الى الملكيّة لاسباب زمنيّة او فرارًا من الدسائس اليعقوبيّة فقط بل عالمًا منهُ بصحة المعتقدات الملكيّة وذلك لأنّ هذا الاسقف كان مشهودًا لهُ بالفضل والفضيلة والاداب والعلوم كما اثبت المؤرخون . لاسيما انّ البطريرك ميخائيل ما كان يدّخر وسيلةً ليسنمهُ من الانحياز الى الملكيين او ليسترجعهُ الى مذهبهِ السابق بعد اتباعهم . ولعل المنازعة التي جرت بينهُ وبين اسقف الرها انّما كانت لجدال حدث بينهما في امر الدين والاراء اليعقوبيّة

(ثالثًا) ومما يستفاد من هذه الترجمة انّ يوحنا موديانا لمّا اعتنق مذهب الروم وسُقّف على ميّافارقين لم يحتج الى تعليم لسانهِ السرياني الى اللسان اليوناني وانما اقام

١) قال ابن العبري: ... حتى ... وموته ... اليونان ... وارجعوه ... الى ... فسطنطينية ... خلقيدونيًا ... ميافارقين

الطقوس اليونانية باللغة السريانية وقد اثبت المثلث الرحمات السيد اقليميس يوسف داود في كتابه القصارى انّ الروم الملكيين كانوا يتلون فروضهم الدينية في انحاء شتى باللغة السريانية

(رابعاً) ومع اشتهار امر موديانا ورجوعه عن تعاليم اليعاقبة الى معتقدات الجمع الخلقيدوني لا تجد في كتب مؤلفي الروم احداً يذكر هذا الارتداد لانّ الكتبة اليونان قلّما اتسعوا في التاريخ الديني واخبار اساقفته في الجهات البعيدة عن القسطنطينية فغاتتهم امور عديدة لا تجد لها ذكراً الّا في مؤرخي السريان

مطبوعات شرقية جديدة

Daremberg, Saglio et Pottier. Dictionnaire des Antiquités grecques et romaines, 40e Fasc. (PRINCEPS - QUORUM BONORUM). Paris, *Hachette*, 1907.

معجم العاديّات اليونانية والرومانية (القسم الاربعون)

لم يمرّ على المشرق ستّة اشهر منذ أعلن (ص ٤٧٩) صدور القسم التاسع والثلاثين من هذا المعجم الخطير الذي افضنا في سعة مواده وحسن تنسيقه وعلم كتبته ولا غرو لانّ فصول هذا المعجم لا يكتبها الّا كبار العلماء ممن يُشار اليهم بالبنان. وفي هذا القسم ابحاث جليلة منها تاريخيّة ومنها جغرافيّة ومنها في تعريف خرافات الاولين واساطيرهم. فلو اردنا تعدادها لطال بنا الكلام نخص منها بالذكر المقالة المطوّلة في الاقاليم الرومانيّة (PROVINCIA) والعاب دلفي اكراماً لاقولون (JEUX PYTHIQUES) ورتبة المحتبي (PROCURATOR) وفي اروقة الهياكل (PROPYLUM). وفي هذا القسم تفاصيل ظريفة عن عادات الرومان مثلاً عن حمّاماتهم وعن الالعاب للعروقة عند العرب بالبنات (POUPÉES). ومما يهمّ بلادنا الفصل المختصّ بالارجوان واصله وتاريخه واستحضاره من الاصداف المدعوّة موركس (MUREX) لاسيما في سواحل فينيقة. وكانت الصدفة لا تتضمّن سوى بعض نُقط من هذا الصبغ يستخرجونها من دودتها بعمل شاقّ فيملّحونها ثمّ يعرضونها على النار ويغمسون فيها الحرير مدّة خمس ساعات ويكرّرون